

الدبلوماسية الحضارية: محاولة في تأصيل المفهوم

Civilizational diplomacy: an attempt to consolidate the concept

د. محسن الندوي

رئيس المركز المغربي للدراسات الاستراتيجية والعلاقات الدولية

الملخص

ليس الغرض من الدبلوماسية الحضارية نفي مختلف الدبلوماسيات، وليس الغرض منها تحكم حضارة واحدة في باقي الحضارات في العالم مثل الحضارة الغربية في واقع الحال، وإنما التركيز على أهمية المشترك بين مختلف الأمم؛ والحث على قيم الحوار والتسامح والتواصل بين مختلف الديانات والثقافات عبر العالم. خاصة وأن الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية كلاهما ينتظم تقاليد ثقافية عريقة وعظيمة تختلف تماما عن الغرب، والحوار والتقارب لن يتم إلا إذا اعترف الغرب بمبدأ تداول الحضارات، وأن يقر بأن الحضارة ليست حكرا له وأنداك وبناء عليه ممكن تحقيق دبلوماسية حضارية.

لذا سوف نحاول في هذا البحث تحديد مفهوم الدبلوماسية الحضارية وتناول منطلقاتها وقضاياها باتباع منهج وصفي تحليلي لمحاولة تحليل الدبلوماسية الحضارية ومنطلقاتها من خلال التركيز على أهمية التنوع الحضاري في الحضاري والاعتراف المتبادل للحضارات من خلال اعتبار أن كل حضارة لها اعتبارها وقيمتها التي يجب احترامها وأن كل الحضارات بالنتيجة بما فيها من تنوع واختلافات عميقة وخصوصيات مميزة تعد جزءا من الإرث العام للبشرية وصولا إلى اعتبار أن ما يحتاجه العالم حضاريا اليوم هو الميثاق العالمي لحقوق الجماعات.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية - الحضارة - حوار الحضارات - صراع الحضارات - التعايش.

Abstract

The purpose of civilizational diplomacy is not to deny various diplomacy, nor is its purpose for one civilization to rule over the rest of the civilizations in the world, like Western civilization in reality, but rather to focus on the importance of what is common between various nations. And urging the values of dialogue, tolerance and communication between different religions and cultures across the world.

Especially since the Islamic civilization and the Chinese civilization both share ancient and great cultural traditions that are completely different from the West, and dialogue and rapprochement will not take place unless the West recognizes the principle of the exchange of civilizations, and acknowledges that civilization is not its monopoly, and then, based on this, it is possible to achieve civilizational diplomacy.

Therefore, in this research we will try to define the concept of civilizational diplomacy and address its principles and issues by following a descriptive analytical approach to try to analyze civilizational diplomacy and its principles by focusing on the importance of cultural diversity in civilization and the mutual recognition of civilizations by considering that every civilization has its own regard and value that must be respected and that all civilizations as a result With its diversity, profound differences, and distinctive characteristics, it is part of the general heritage of humanity, leading to the belief that what the world needs today as a civilization is the Global Charter on the Rights of Groups.

Keywords: diplomacy – civilization – dialogue of civilizations – clash of civilizations - coexistence

مقدمة:

لا يختلف اثنان على أن العالم بات كقرية صغيرة كما توقع العالم الكندي مارشال ماك لوهان، حيث صار العالم مقاربا في المجال التكنولوجي لكنه لم يصبح أبدا قرية صغيرة حضاريا لاختلاف وتعدد الحضارات على اعتبار أن العلاقات الدولية لم تغني روافد السياسة بالقيم الحضارية المختلفة.

وتوضح نتائج مراجعة حالة علم العلاقات الدولية - خلال العقدين السابقين وخاصة منذ نهاية الحرب الباردة - التزامن بين بروز البعد القيمي في منهجية دراسة العلاقات الدولية من ناحية¹، وصعود الأبعاد الثقافية الحضارية في ظل عمليات وسياسات وأيديولوجيات العولمة من ناحية أخرى. ولذا تجدد الاهتمام بموضع "الدين - الثقافة - الحضارة"، وتأثيرها على العلاقات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ولقد قفز هذا الاهتمام إلى الصدارة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

ولقد كان الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات تجسيدا واضحا لبروز الاهتمام بالبعدين السابقين أو تجده؛ فلقد ظهر مجال العلاقة بين الحضارات باعتباره مجالا يتجسد على صعيده نمط جديد من صراعات القوى وتوازناتها، ويرجع ذلك بالطبع للعديد من الأسباب؛ على رأسها: انتهاء الصراع الأيديولوجي، وصعود دور الأديان، وتهاوي الحدود بين الداخلي والخارجي من جراء ثورة الاتصالات والمعلومات، وبعد أن تحققت الهيمنة الغربية السياسية والعسكرية ثم الاقتصادية، فلم يتبق إلا اكتمال الهيمنة على الصعيد الثقافي. ولقد أضحت هذا المجال لدراسة العلاقة بين الحضارات محلا للجدال بين النظريات المقارنة لعلم العلاقات الدولية، كما أن هذا الجدل في حد ذاته قد أفرز التساؤل حول درجة التحول في العلم نحو منظور جديد يتخذ لنفسه - من المنطلق الحضاري - مستويات للتحليل وموضوعات وأنماطا جديدة للتفاعلات الدولية. إن التنوع الحضاري هو منبع لتطور وتقدم المجتمع الإنساني ويجب تعزيز الحوار بين الحضارات المختلفة.

¹ حول دور القيم في دراسة العلاقات الدولية من منظورات مختلفة وعلى مستويات مختلفة من الدراسة، انظر على سبيل المثال:

- Charles R. Beitz, Recent international Thought-International Journal, Spring, 1988.
- Keen Boothe, Security in anarchy: Utopian realism in theory and practice, International affairs 67, 1991, pp : 527 - 545.

إن النظرة إلى الإنجازات الحضارية المتميزة لمختلف الدول بموقف المساواة والتسامح هي شرط أساسي للحوار بين الحضارات. لذلك وأمام هذا التنوع الحضاري ينبغي معارضة الهيمنة الثقافية، واحترام الحضارات المتنوعة، وتعزيز التفاهم المتبادل، وتعزيز التنمية من خلال التعايش، بدل استقواء حضارة على حضارات أخرى في إطار "التفوق الحضاري"، و"الصراع الحضاري"، و"إسلاموفوبيا" وغيرها، وقد أدت هذه الأفعال المتكبرة والمتسلطة إلى تخريب السلام والاستقرار للعالم، وجلبت معاناة عميقة للأمم والشعوب بالعالم.

لذا مثلا، فالحضارة الإسلامية والحضارة الصينية كلاهما ينظم تقاليد ثقافية عريقة تختلف تماما عن الغرب والحوار والتقارب لن يتم إلا إذا اعترف الغرب بمبدأ تداول الحضارات، وأن يقر بأن الحضارة ليست حكرا له وأنداك وبناء عليه ممكن تحقيق دبلوماسية حضارية.

فليس الغرض من الدبلوماسية الحضارية نفي مختلف الدبلوماسيات، وليس الغرض منها تحكم حضارة واحدة في باقي الحضارات في العالم مثل الحضارة الغربية في واقع الحال، وإنما التركيز على أهمية المشترك بين مختلف الأمم؛ والحث على قيم الحوار والتسامح والتواصل بين مختلف الديانات والثقافات عبر العالم.

ومن ثم فالدبلوماسية الحضارية ينبغي أن تتأسس على منطلقات حضارية وثقافية أساسية منها الحوار الحضاري، والتواصل الحضاري، والحضور الحضاري، والتعايش الثقافي، والتفاهم الدولي، والاعتراف المتبادل للثقافات والخصوصيات المميزة للحضارات الإنسانية المتعددة.

المحور الأول: مفهوم الدبلوماسية الحضارية

أولا: نشأة الدبلوماسية الحضارية

إذا كانت نشأة الدبلوماسية الحضارية قديمة جدا، إنما لم يكن يطلق عليها مفهوم الدبلوماسية الحضارية، حيث تعد الفترة التي طُغت فيها الحضارة الفرعونية² بمصر، والحضارة السومرية³ ببلاد الرافدين، من أهم الفترات التي تطورت فيها الدبلوماسية الحضارية في العالم، وذلك لقربها جغرافية بين الحضارتين وتزامنها التاريخي. ومن آثار ذلك أنه يوجد عن مصر أخذت بلاد الرافدين نظام الهرم المدرج في بناء معابدها، وعن بلاد الرافدين أخذت مصر استخدام الأختام وفن رسم الحيوانات المجنحة.

ولعل من أبرز الإسهامات التي قدمها التاريخ القديم للدبلوماسية الحضارية، تلك المجموعة النادرة من الوثائق الفرعونية التي سجلت تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبلاد الرافدين، حيث أكدت الأبحاث أن هناك ما يربو على ستة عشر ميثاقا مهما عقدت بينهما في الفترة بين القرن الخامس عشر والقرن التاسع قبل الميلاد، يأتي في مقدمتها الميثاق الذي عقد بين مصر وبابل سنة 1450 ق.م⁴.

ومن ذلك أيضا وجود أنواع عدة من الاتفاقيات في مناحي مختلفة تنظم العلاقة بين هذه الدول كالاتفاق على فض النزاع حول الحدود بين حكومات مدينة (لاغاش) و(أوما) من جانب، ومدينة (شط الحبي) من مدن بابل من جانب آخر، والتي كانت في سنة 2850 ق.م. وأيضا ما ذكره المؤرخون كذلك عن المعاهدة التي تمت بين (نارانسن) أحد ملوك العصر الأكادي،

² هي حضارة قداماء المصريين، والتي تركزت على ضفاف نهر النيل في الشمال الشرقي للقارة الإفريقية، بدأت تلك الحضارة في الألفية الثالثة قبل الميلاد عن توحيد مصر العليا والسفلى على يدي الملك "مينا".

³ اعتبر العلماء بأن الحضارة السومرية هي أقدم حضارة في تاريخ البشرية، والتنقيبات الأثرية المكتشفة تؤكد الأمر ذاته، ومن أهم إنجازات الحضارة السومرية (الكتابة)، وكانوا يتعمدون نشرها، وعملوا على إقامة أول مدرسة في التاريخ البشري على الإطلاق. محمد فهد القيسي، "السومريون النفي والإثبات"، دمشق، دار تموز للطباعة والنشر، ط 1، 2013م، ص: 12.

⁴ محمد حبش، والدبلوماسية: قراءة في القيم الدبلوماسية في...، قطر، المعهد الدبلوماسي، 1434هـ 2013م، ص: 16.

وأمرء (أفان) سنة 2500 ق.م إلا أن أقوى المعاهدات نفوذاً في تلك الحقبة، والتي كان لها النصيب الأكبر من الدراسة والتمحيص بين الدارسين والمختصين بتلك الحضارتين، المعاهدة المعروفة بمعاهدة (قادش)، والتي قد أبرمت بين امبراطوريتي الحيثيين والفرعنة المتنازعتين، حيث تضمنت بنوداً قانونية وعسكرية ودبلوماسية نظمت العلاقات بينهما إلى أمد بعيد⁵. وبالنظر في بنود المعاهدة، نجد أنها بالجملة أكدت على "أهمية إقامة علاقات جيدة بين الدولتين والسعي إلى إحلال سلام أساسه احترام سيادة أراضي الدولتين، والتعهد بعدم تحضير الجيوش لمهاجمة الطرف الآخر، وإقامة تحالف وإنشاء قوة دفاعية مشتركة، واحترام الرسل والمبعوثين بين الدولتين، لأهمية دورهم لتنفيذ السياسة الخارجية وأخيراً اللجوء إلى لعنة الآلهة كضمانة لهذه المعاهدة ومعاينة الناكث بها⁶.

وتعد الحضارة الإسلامية بحق تمثل المرحلة المثالية للتاريخ الدبلوماسي الحضاري بصفة عامة وتاريخ المسلمين بصفة خاصة، ومما لا شك فيه أن تلك الفترة التي عاشها رسول الله (ص) هي أعظم الفترات في التاريخ الإنساني عموماً، ولا يتصور العقل أن تأتي على البشرية فترة زمنية أكثر مثالية أو أفضل سمواً من تلك الفترة التي قضاها رسول الله (ص) من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فالدبلوماسية النبوية تعتبر بحق دبلوماسية واقعية مترفعة عن كل نقص وعن كل عيب، وأثرها واضح وجلي على الدبلوماسية الإسلامية في العصور اللاحقة. ولماذا كانت كذلك؟ لأن تميزها عن باقي دبلوماسية باقي الحضارات السابقة بفضل الدافع الروحي الأخلاقي في التعاملات الدبلوماسية، وذلك في أقوال النبي (ص) وأفعاله الدبلوماسية

⁵ وتعتبر هذه المعاهدة أقدم معاهدة سلام عرفها التاريخ. وحول أهمية هذه المعاهدة التاريخية، يعتبر الدكتور صبري مقلد معاهدة قادش الأساس لجميع المعاهدات التي توالفت بعدها على مر 33 عصراً من إبرامها؛ إذ إنها جمعت بين تطبيق القوانين (التشريعات) وضمنان حق الشعوب، وتأكيد إقامة سلام عادل وشامل وتعزيز أو أصر العلاقات العسكرية والدبلوماسية. انظر: صبري مقلد إسماعيل، "العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظري ت"، الكويت، دار السلاسل، ط 1، 1985، ص: 7.

⁶ فوده، "النظم الدبلوماسية"، ص: 80. والسيد أمين شلبي، "بين الدبلوماسية القديمة والحديثة"، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، العدد 140، أبريل، 2000، ص: 40.

لم تكن ذات دوافع قومية أو توسعية، بل كانت محاطة بغطاء أخلاقي تام، ولم يكن من غرض الدبلوماسية الإسلامية إلا الدعوة إلى الله لكفها دلالة على سمو هذه الدبلوماسية. ومن هنا فإننا نجد أن النبي (ص) قد مارس الدبلوماسية بأوسع نطاق على المستوى الدولي، وذلك أنه أرسل مبعوثيه إلى مجموعة من زعماء القبائل المتفرقة في شبه الجزيرة أترافها، وكذلك أرسل واستقبل الوفود وعقد الهدنة والصلح، وكانت له مراسم وتشريفات وإبرام المفاوضات والمعاهدات الدولية.

ثانياً: الدبلوماسية الحضارية ضرورة حضارية

إذا كان حوار الحضارات لا يمكن أن يتم بمعزل عن حالة ميزان القوى، وإذا كانت حالة الساحة الدولية تقدم لنا الآن قطبا واحدا يتمتع بمزايا كثيرة في مجال القوى المادية، لكة يهيمن ثقافيا وحضاريا على باقي الحضارات والثقافات في العالم، لذا ينبغي التوازن معه فكريا وقيما من خلال منظومة قيم أصيلة يمكن أن تساهم في التجديد الثقافي العالمي إذا ما حسن تقديمها والتعريف بها. وهذا يستدعي ضرورة استنهاض الهمم لإعادة بناء الذات. ويستتبع هذا أن نكون قادرين على أن ننقذ أنفسنا في حوار. فسلبياتنا كثيرة، فإذا أردنا أن ندخل في حوار جاد مع الآخر لابد أن نكون منفتحين على أمر نقد الذات ومستعدين له، ولا بد أن ندرك أن الحوار أسلوب وثقافة تبدأ من النفس⁷. إن إقامة حوار بين الحضارات يسبقه أو على الأقل يوازيه ضرورة إقامة حوار داخل الحضارة، أي حوار بيني حضاري/حضاري.

ثالثاً: تعريف الدبلوماسية الحضارية

يمكنني وصف الدبلوماسية الحضارية بأنها: هي العلاقات بين الأمم والحضارات المبنية على خصوصيتها الحضارية، والوعي بالهويات الحضارية لدى الشعوب، وخصوصية الخبرات الإنسانية الجماعية مع وجود مشترك إنساني وفق ميثاق عالمي لحقوق الجماعات مع ضرورة

⁷د.نادية محمود مصطفى، "جدالات حوار/ صراع الحضارات: إشكالية العلاقة بين السياسي – الثقافي في خطابات عربية وإسلامية"، مركز الحضارة للدراسات السياسية، مصر، ص: 15.

احترام الأديان باعتبارها منظومة قيم تؤثر بشكل كبير في ثقافة الجماعات واعتبار أن الأخلاق ضرورية في العلاقات الدولية، مع رفض انتحال أي حضارة حق الهيمنة وفرض قوانينها وسماتها من خلال تعميم قواعد خبرتها الحضارية على الآخرين وفرضها باسم عمومية قوانين التطور الإنساني.

إن الدبلوماسية الحضارية تعبير عن مستويات رفيعة من التعايش والتفاهم والاحترام المتبادل بين الأمم والشعوب. وتعد الأمة في المنظور الحضاري هي وحدة التحليل في دراسة العلاقات الدولية.

رابعاً: أقسام الدبلوماسية الحضارية

أ- الدبلوماسية الحضارية الرسمية التي تتم على المستوى الدولي الرسمي بين الجماعات والأمم والحضارات في العالم بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية والحضارة الصينية...

ب- الدبلوماسية الحضارية المدنية مؤسسات المجتمع المدني في العالم الإسلامي بالتشبيك مع المجتمع المدني العالمي والانخراط في حوار يمكن أن يحدد من محاولات قوى غربية استغلال التأثير على مسار حوار الحضارات نحو ما يحقق أهدافها ويفرض قيمها على العالم. بعبارة أخرى، فإن تفعيل حوار الشعوب قد يكون سبباً للالتفاف حول ما يمارسه اختلال توازن القوى من تأثيرات سلبية على الحوارات الرسمية بين الحكومات، ومن هنا أهمية التمييز بين الحوار كقضية دولية أو أداة من أدوات السياسة الخارجية وبين كونه نشاطاً إنسانياً متواصلاً وقديماً قدم خلق الإنسان، حوار الثقافات بين المتخصصين، حوار بين المنظمات غير الحكومية.

المحور الثاني: الدبلوماسية الحضارية: منطلقات وقضايا

أولاً: منطلقات الدبلوماسية الحضارية

— الاحترام المتبادل: إن ظواهر الأحادية، والانتقاص من شأن الآخرين، والسعي إلى بسط الهيمنة عليهم، وإلا فإنهم، وملاحقتهم، والمظاهرة عليهم - لا تعكس بحال أي نوع

من الاحترام المتبادل، وإن صح تقييم تلك الظواهر على جانب آخر، فإنما يعكس - بمرارة - عدم احترام أولئك الآخرين أنفسهم وتراثهم، فحق فيهم الضعف والارتخاء وقلة الفاعلية، وتبددت هيبتهم في نفوس أندادهم⁸.

- **التسامح الحضاري:** هناك من عرفه بأنه: "المساكنة والتعايش في إطار رؤية إسلامية تحترم حق الآخر في الرأي والعقيدة والفكر"⁹ وفي خارج العالم الإسلامي، نجد أيضا محاولات عديدة لضبط معنى التسامح، إذ تم تعريفه، وفقا لبنود منظمة اليونسكو سنة 1995م، بأنه "الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا وأشكال التعبير وللصفات الإنسانية"¹⁰. ونضرب مثال على التسامح الحضاري، أن المسلمين بعد فتحهم لبلاد الأندلس التي تجسد فيها التسامح الديني للإسلام والمسلمين مع غيرها من أصحاب الديانات الأخرى¹¹، وذلك امتثالا لقوله تعالى: (لا إكراه في الدين)¹² التي تؤكد ما وصل تسامح العرب المسلمين معهم، وأنه بفضل هذا التسامح الديني للمسلمين تحقق التقدم والازدهار الحضاري في بلاد الأندلس في عصر بني أمية؛ فأدى إلى إفادة فئات كثيرة من المجتمع من هذا التسامح، والازدهار والتطور الحضاري حتى تجاوزت حدود الأندلس¹³.

⁸ الويشي - عطية فتحي، "حوار الحضارات - إشكالية التصادم، وأفاق الحوار، حقائق ومفاهيم لا ينبغي أن تغيب"، ط: 1، 1422 - 2001، مكتبة المنار الإسلامية، حولي - الكويت، ص: 274.

⁹ سليمان دريع علي، "حقيقة التسامح في الإسلام"، الكويت: مكتبة ابن كثير، 2009، ص: 11.

¹⁰ عبد الباسط عبد الرحيم عباس، "مبدأ التسامح في إطار المواثيق الدولية والتشريعات العراقية النافذة"، مجلة العلوم القانونية والسياسية، كلية القانون والعلوم السياسية - جامعة ديالى، عدد خاص، 2012، ص: 517.

¹¹ حسن الوراكلي، "ياقوتة الأندلس"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص: 12.

¹² سورة البقرة، الآية 256.

¹³ رينو، "تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا والجزائر، البحر المتوسط"، ترجمة، شكيب أرسلان، بيروت - دار مكتبة الحياة، ب - ت، ص: 232.

إن التسامح قيمة كلية تتفق الأديان على رعايتها، وتعتبرها المنظمات الإنسانية والعالمية الحل السلمي الوحيد لإفشاء الأمن والسلام العالمي. إلا أن الاختلاف لا زال قائماً في تحديد مفهومه، نظراً إلى الاختلاف الواقع في طبيعة النظر.

— **التنوع الثقافي:** وهو وجود ثقافات مختلفة ومتنوعة بدلا من الثقافة الأحادية، وهو مصطلح عالمي يدخل فيه الاختلاف بين الأفراد حسب ثقافة كل مجتمع، في الإثنية والعرقية الديني والهوية¹⁴. ويرى الفيلسوف الكندي "شارلز تايلور" (1931) أن التنوع الثقافي هو خليط من الناس في انتمائهم وهوياتهم، يعيشون في نسق اجتماعي، وله في ذلك نظريتان: إما تنوع ثقافي عالمي باختلاف ثقافات العالم في العادات والتقاليد، أو تنوع ثقافي لتلاقي الأفراد من ثقافات مختلفة بالانضواء تحت نسق معين مشكلاً تنوعاً ثقافياً¹⁵.

— **التعددية الحضارية:** تعتبر التعددية الحضارية سنة من سنن الله في تعدد الأمم التي تتمايز بتعدد الحضارات، ولأن فلسفة الإسلام في العلاقة بالآخر قائمة على احترام التعددية الحضارية، فالإسلام أوجد بعض القوانين واللوائح التي تنظم هذه العلاقات حتى لا يساء فهمها من ناحية ومن أخرى حتى يتم تقنين التعامل بين الحضارات. ولأن هذه هي فلسفة الإسلام في العلاقة بالآخر كان استخدام القرآن الكريم لمصطلح "الدفع" عندما تدعو الحاجة بسبب اختلال التوازن في العلاقات مع الأغيار، وحلول الخلل "محل" التوازن "وسيادة" الظلم "بدل من العدل"، وقيام الجور بدل عن "الوسطية" هنا يكون "الدفع"، أي الحركة الاجتماعية التي تبتغي إعادة العلاقات إلى مستوى ومقام "التوازن" ثانية، مع الاحتفاظ بالتعددية، والتمايز للفرقاء المختلفين، هذا يكون "الدفع" ولا يكون الصراع لأن الصراع، يقتضي نفي الآخر بصرعه وإنهاء وجوده والانفراد والوحادية¹⁶.

¹⁴أرمان ماتلار، "التنوع الثقافي والعدولمة"، تعريب: خليل أحمد خليل، الإمارات، مؤسسة محمد بن راشد ودار الفارابي، ط1، 2008، ص: 20 - 21.

¹⁵المرجع السابق، ص: 17 - 18.

¹⁶سليمان، أحمد علي. تقرير عن ندوة التواصل الحضاري: أهدافه، وآلياته، ومعوقاته، مجلة الجامعة الإسلامية، رابطة الجامعات الإسلامية، 2008، ع. 42.

ومن سمات الحضارة الإسلامية هو التواصل الحضاري مع الحضارة الغربية، عبر سنوات التاريخ ومنذ القدم، حتى وإن أصاب هذا التواصل قليل من الصدمات، أو المناوشات، بين الحضارتين إلا أن الواقع الفعلي بينهما يثبت ويؤكد أهمية استمرار التواصل بينهما، بأي طريقة لتحقيق الفوائد منه¹⁷.

— **الإيمان بالشراكة الحضارية:** إن من محددات التواصل الحضاري هو تشكيل رؤية قائمة على التفاهم والشراكة الحضارية، أو ما يعرف بالندية. ولمثل هذه الرؤية أن تسهم في إنجاح التواصل والحوار بين الحضارات، ولكن قد يقتضي مثل ذلك موافقة المسلمون من جانبهم على تقديم سبل المشاركة، ما لم يصطدم بجوهر العقيدة الإسلامية، مادام الأمر يفضي إلى تقارب وجهات النظر، وإقامة العلاقات على قاعدة من الندية، وليست الندية الحضارية. بالإضافة إلى ذلك، نجد أن الحضارة الإسلامية الراسخة في قيمها الأخلاقية والروحية، تظل غير معترفة بحضارات وضعية، ولكن التوفيق يكون في تقديم الحضارة الإسلامية الجانِب الروحي، والأخلاقي للآخر. بينما المجتمعات الأخرى تقدم العلم، والتكنولوجيا، وتتم الموازنة، وهكذا تشكل الرؤية القائمة على التفاهم، والشراكة الحضارية¹⁸.

— **الحضور الحضاري:** الحضور يدل على مجموعة أمور، منها: المواكبة للمتغيرات والتحويلات والمستجدات على الأصعدة المختلفة، سواء الداخلية والخارجية، والقدرة على التطوير المستدام، والتجديد المتواصل مع قضايا العصر، والانفتاح والتفاعل والتواصل مع الآخرين، والمشاركة والتعاون في كل ما تتطلبه مستجدات العصر من أحداث وتطورات¹⁹.

¹⁷نورة العويد، مرجع سابق، ص: 46.

¹⁸جباري سامية، "التسامح الديني مع أهل الذمة بالأندلس - التسامح مع اليهود"، مجلة رسالة المسجد، الجزائر، س6، ع2، فبراير 2008م.

¹⁹بو عبيد صالح الأزدهار، "السنن الاجتماعية ومنطق التدافع الحضاري"، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص: 46.

— **التعايش الثقافي:** يهدف إلى تحسين العلاقات بين الشعوب والطوائف، في مرحلة متقدمة تتجسد في تقبل الآخر والعيش معه في إطار من النقاط المتفق عليها، التي تشمل قضايا الاقتصاد والسلام، والهجرة والتعليم، وممارسة الشعائر الدينية، وغيرها، مع تفعيل قيم التسامح بين الشعوب الإنسانية، مع احترام الخصوصية المتمثلة في الاختلاف العقدي والفكري والثقافي²⁰.

إن مسألة التعايش الثقافي تعتبر ضرورة من ضروريات الاتصال بين الحضارات. والاختلاف بين الثقافات لكل مجتمع يتطلب نوع من التعايش. فكما يؤكد "ابن خلدون"، أن التعايش مهم في تركيبة كل مجتمع، والثقافة شكل من أشكال التعايش بين أفراد المجتمع، والتعايش شكل من أشكال الثقافة بين مجتمعات مختلفة. والتعايش استلزام للثقافة وللتراث الثقافي للمجتمع، أو للمجتمعات. هو تعايش تشارك فيه كل المنتجات والقيم الثقافية للقيم المشتركة ماهر،²¹ ولقد عرف التاريخ الإنساني ثقافات متعددة، منها اليونانية والرومانية والهندية والثقافة المصرية الفرعونية والفارسية، إلى غير ذلك من الثقافات. ولما استلم العرب زمام القيادة الفكرية والثقافية للبشرية في القرن السابع الميلادي، واستمروا في مركزهم المتميز إلى القرن الخامس عشر، عرف العالم الثقافة العربية الإسلامية في أوج تألقها.

— **التفاهم الدولي:** إن مشكلة التفاهم الدولي، هي مشكلة علاقات بين حضارات، ومن هذه العلاقات يجب أن يظهر مجتمع عالمي جديد على أساس من التفاهم والاحترام المتبادل. ويجب أن يتبنى هذا المجتمع نزعة إنسانية جديدة، بحيث تتحقق فيه العالمية، من خلال الاعتراف بالقيم المشتركة في الحضارات المختلفة، ومنذ البداية كان هناك وعي بإشكالية العلاقة بين الثقافة والواقع الاجتماعي - الاقتصادي والسياسي، وخاصة العلاقة بين التكنولوجيا والقيم التقليدية في دول العالم الثالث. ويمكن الإشارة أيضا إلى ثلاثة اجتماعات دولية هامة

²⁰ عبد العظيم إبراهيم المطعني، "مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجا وسيرة"، القاهرة: دار الفتح للإعلام العربي، د. ط 1996، ص: 1.

²¹ المرجع نفسه.

والتي استقادت من الدعم المالي لليونسكو: الاجتماع الفكري في ساوباولو في أغسطس سنة 1954 والاجتماع الدولي في جنيف في سبتمبر 1954 والذي كان موضوعه الرئيسي، العالم الجديد وأوروبا، والاجتماع الدولي في جنيف عام 1957 والذي عالج موضوعا، أوروبا والعالم اليوم.

بالإضافة إلى هذه المؤتمرات الثلاثة الهامة، هناك المشروع الرئيسي لليونسكو عن الفهم المتبادل للقيم الحضارية للشرق والغرب، الذي استمر من عام 1957 إلى عام 1966. ولقد غطى المشروع موضوعات متعددة مثل تعريف القيم في الشرق والغرب، ودور العوامل الدينية في الحياة الثقافية، والقيم الأساسية في الحضارات الكبرى في الشرق والغرب وأهمية هذه القيم للحياة الشخصية، وموقعها في الأدب والفن، والتحول الاجتماعي في الشرق وأثره على الحياة الثقافية، وإسهامات الجامعات في مجال التفاهم المتبادل بين الشرق والغرب، والتقاليد الموسيقية والمسرحية في الشرق والغرب، وإبداع الأدب المعاصر في الشرق والغرب، والمشاكل العامة المتعلقة بتطور التبادل الثقافي، والعوامل التي تساعد أو تعرقل الاتصال والتعاون، والمشاكل ما بين الحضارات والتي تتعلق بتنمية دول العالم الثالث بعد حصولها على استقلالها.

ويعد إعلان المبادئ للتعاون الثقافي الدولي في سنة 1966، والذي أصبح أحد المحاور الأساسية لليونسكو في مجال الثقافة. وينص هذا البيان في مادته الأولى على:

- 1- كل حضارة لها اعتبارها وقيمتها التي يجب المحافظة عليها واحترامها.
 - 2- كل شعب له الحق وعليه واجب تنمية حضارته.
 - 3- كل الحضارات بكل ما فيها من تنوع واختلافات عميقة وتأثير متبادل على بعضها البعض، جزء من الإرث العام للبشرية.
- ما هي هذه الأرضية المشتركة؟

قدم روبرت كوكس²² الإجابة التالية:

الشرط الأول هو الاعتراف المتبادل بالتقاليد المميزة للحضارات الإنسانية المتعددة. ربما تكون هذه أكثر الخطوات صعوبة، خاصة لمن يتبنون منظور الهيمنة على العالم، والذين ليسوا على استعداد للتخلي عن طمأنينة الاعتقاد الثابت في نظام طبيعي يركز تاريخياً على الانتقال من موقف قوة محدد وتعميمه بعد ذلك وكأنه صيغة حضارية عالمية.

وتكمن الصعوبة في الطريقة التي يتم بها إدراك وتسجيل التغيير السياسي الذي يتم خارج الغرب، وكيف يتم تناوله في الغرب. والميل نحو النظر لكل شيء من خلال مفاهيم غربية، والتي قد تؤدي على سبيل المثال، للنتيجة التي مفادها أن نهاية التاريخ على وشك الحدوث، بتتويج أبادي للحضارة الرأسمالية الغربية، ويتضمن الاعتراف المتبادل، الاستعداد لمحاولة فهم الآخرين بشروطهم هم.

الشرط الثاني لعالم ما بعد الهيمنة، هو تجاوز نقطة الاعتراف المتبادل والاتجاه نحو تقبل التفاعل بين الهويات الثقافية المتعددة، والتي تسمح بالتعايش بين مختلف التقاليد الحضارية. ونستطيع القول أن الأساس الذي يوفى تحقيق هذا الهدف يتمثل في عدة أمور هي:

- 1- الاعتراف بمتطلبات البقاء والتوازن المتواصل في الإيكولوجيا الكونية، رغم أن الاستنتاجات المحددة التي يمكن استخلاصها من ذلك تبقى موضع خلاف.
- 2- القبول المتبادل لضبط العنف في حسن الصراعات. وهذا لا يعني أن ذلك سينتهي العنف السياسي المنظم، ولكنه قد يزيد من تكاليف اللجوء للعنف.
- 3- الاتفاق العام على كشف مصادر الصراع وتطوير إجراءات حل ومعالجة الصراع التي تأخذ في الاعتبار تعايش الرؤى المتباينة.

²² Cox. R.W. Perspectives on Multilateralism Unpublished paper, programme on multilateralism and the United Nations, system (MUNS), The United Nations University, April 1991, p : 33.

إن الوصول إلى الأرضية المشتركة المقترحة يتطلب أن يلعب ممثلو الحضارات التاريخية المختلفة دوراً نشطاً، وذلك بتطبيق الحوار بين الحضارات بصورة خلاقة.

المحور الثالث: قضايا الدبلوماسية الحضارية

— التوصل الحضاري:

هو التفاعل والاجتماع والاتفاق والتتابع، وهو تبادل الآراء والأفكار والمشاعر عبر الوسائط المختلفة. ومفهوم التوصل في المنظور الإسلامي يشير إلى التفاعل الإيجابي الصادر من رغبة صادقة في خلق التفاهم مع الآخر، وهو المنطلق للوصول إلى الحق باستعمال حواس التوصل، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: 13. فالتواصل - هنا - يشير إلى العلاقات التي تحدث بين الناس داخل أنساق اجتماعية محددة، وقد يكون مباشراً من خلال اللقاء الشخصي بين الأفراد، أو غير مباشر من خلال وسائل التواصل المطبوعة والمسموعة والإلكترونية²³. والتواصل نوعان: تواصل داخلي بين أفراد المجتمع، وتواصل خارجي بين الدول والمجتمعات، ولهذا تقام الندوات والمؤتمرات واللقاءات، لتكون شكلاً من أشكال التواصل الإنساني وتحقيق المقاصد²⁴.

فالتواصل الحضاري أساسه الوعي الحضاري بالالتفاف حول الهوية الحضارية والانفتاح على الآخر في وقت واحد، ولا يمكن لهذا التواصل أن يتم بالتربية الثقافية المصاحبة لأنشطة الفرد

²³سكر ماجد رجب العبد، "التواصل الاجتماعي أنواعه - ضوابطه - آثاره - ومعوقاته"، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية غزة، الجامعة الإسلامية، 2011م، ص: 4.

²⁴المرجع السابق، ص: 5.

الاجتماعية والثقافية الحياتية²⁵، على أن تكون التربية هي المؤسسة للحوار والتواصل الحضاري²⁶.

إن أهمية التواصل الحضاري تنبع من أهمية أن تتحقق المطالب الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، بحيث لا يكون هناك صراع ولا تصادم مع العقل ولا العلم، وأن تكون مستحدثات التطور الاجتماعي، هي القائمة في هذا الأمر، وما دما في إطار التعددية الثقافية والدينية، فنحن في إطار إنساني، وهناك ما يكون نسبي بين المجتمعات، لذا وجب احترام الاختلافات الخاصة بكل مجتمع، تبعاً لمطالبه الفكرية، التي يفرضها على نفسه دون المساس بالمطالب والأحقية الفكرية لدى الآخر²⁷.

— الحوار الحضاري:

الحوار بين الناس والحضارات والأفراد، هو ما سماه القرآن التعارف في قوله تعالى: {وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا} [الحجرات: 13]، بما يقتضيه التعارف من تبادل الخبرات والمعارف، وتحقيق التفاهم والود والتعاون... هذا الحوار ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية وبقاء الحضارات؛ ولهذا كانت فترات السلام هي الأصل في بناء الحضارات واستمرارها، أما الحرب فشذوذ يؤدي إلى إزهاق الأرواح وتبديد الإمكانيات، وما ينفق عليها قد يسعد الجنس البشري كله قرناً، كما نرى في حجم الإنفاق العسكري في العصري الحديث. وكلمة "حوار" في العلاقات الدولية الحالية، تستعمل للدلالة على أشكال المفاوضات الدبلوماسية بالمعنى الدقيق، والذي يتميز بالمرونة في تنظيم وسير الأعمال، كما يهدف الحوار إلى المعرفة الفضلى والتقييم

²⁵مالك بن نبي، "مشكلة الثقافة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق ط4، 2000، ص: 138.

²⁶المصدر السابق، ص: 77.

²⁷نورة العويد، التواصل الحضاري من منظور إسلامي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1443هـ، ص: 40.

الأكثر صحة للفرقاء المشاركين ولمسائلهم أكثر منه إلى الوصول لنتيجة محددة (مثلاً: الحوار بين الشمال - الجنوب، الحوار الأوربي - العربي - الأفريقي²⁸). ويقصد بحوار الحضارات الوصول إلى فهم متبادل بين الحضارة وغيرها من الحضارات الأخرى، الذي يؤدي إلى التفاهم المشترك، بوصفه تواصلًا بين الجماعات والأفراد، حيث لا يمكن اعتبار حوار الحضارات بجائز إلا مع وجود الاعتبارات للثقافات الأخرى، بل واعتبارها جزءًا ذاتيًا، تضطلع بمسؤوليات الحوار البناء مع كل الحضارات في البلدان الإسلامية والأفريقية والآسيوية بعيدًا عن الغزو وعلاقات التقنيات²⁹. وكانت هناك مبادرات إسلامية لحوار الحضارات وتفعيل دور الأمم المتحدة في ذلك، حيث أنشئت العديد من المؤتمرات والجمعيات والمؤسسات، الداعية إلى ترسيخ سياسات الحوار والتفاهم والتعايش السلمي بدلًا من الصدام والصراع، إذ تبنى العديد من الكتاب هذه النظرية ودعوا إلى تنمية حوار الحضارات بين العالم الإسلامي والغربي حتى يمكن لكل طرف أن يتفهم الآخر ويتعايش معه، ومن هؤلاء الكتاب؛ الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي الذي طرح "المبادرة الإسلامية لحوار الحضارات" في قمة طهران لمنظمة المؤتمر الإسلامي في أثناء خطابه أمام اليونسكو، وحددت الأمم المتحدة عام 2001 عام حوار الحضارات، وعينت مندوبًا متخصصًا لهذا المنصب³⁰.

ويهدف حوار الحضارات إلى دفع نظرة الاستعلاء والعنصرية ووضع كل من صنعوا الحضارات في منزلة متساوية من الإبداع، فكل حضارة أنتجت أجوبة عن أسئلتها الخاصة بها أو

²⁸ أحمد سيعفان، "قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية"، بيروت، مكتبة لبنان، ط1، 2004م، ص: 169.

²⁹ روجيه جارودي، في سبيل حوار الحضارات، تعريب: عادل العوا، لبنان، عويدات للنشر والطباعة، ط 4، 1999م، ص: 158.

³⁰ محمد سعدي، دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، 2012، ص: 34 - 35.

بالإنسانية، والعنصرية العمياء هي نتيجة لتوهم باحتكار صفة تميزها عن بقية الجماعات والشعوب، وظل هذا التصور يهيمن على الغرب فهو يسلم بثنائية العقل واللاعقل³¹. فحوار الحضارات هي محاولة لاكتشاف آفاق جديدة لتجديد العلاقات بين الحضارات وتوسيع دائرة التواصل فيما بينها وبناء جسور التعارف، والتخلص من كل رواسب وإشكاليات القطيعة³². فلقد شهدت ساحة العلاقات الدولية الراهنة - أحداثا ووقائع ومناظرات وسياسات عديدة تترجم هذا البروز لأهمية الأبعاد الثقافية والحضارية في العلاقات الدولية الراهنة. حيث ماجت ساحة الفكر والسياسة بتيارات الجدل حول شكل العلاقة بين الحضارات ما بين المدافعين عن الحوار والمدافعين عن الصراع إن تسجيل أبعاد المقارنة بين الاتجاهات المتنوعة من خطاب العلاقة بين الحضارات (حوار أم صراع)³³ يعد من أهم المجالات البحثية التي تستحق الاهتمام لاعتبارات عديدة تلخصها الأسئلة التالية: هل تعد الحضارة أو الأمة وحدة للتحليل في العلاقات الدولية؟ وما دور الأبعاد القيمية الأخلاقية للقضايا الدولية؟ أليس الحوار اليوم هو حوار الحضارات بالمفهوم الغربي؟

إن موضوعات مثل المواطنة، الحرية وحقوق الإنسان والمرأة والجنس والحياة، والديموقراطية والاقتصاد... تحمل أبعادا ثقافية حضارية مختلفة لا بد وأن تقع في صميم أي حوار بين

³¹ مقدمة الكتاب الجماعي "العقلانية العربية والمشروع الحضاري" الرباط، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، 1992، ص: 7.

³² زكي ميلاد، "مقدمة كتاب تعارف الحضارات"، دمشق، دار الفكر، ط1، 2006، ص: 9.

³³ د. محمد خاتمي، "حوار الحضارات والثقافات" نص الخطاب أمام اليونسكو في أكتوبر 1999، شؤون الأوسط عدد 89 نوفمبر 1999.

— د. عبد العزيز التويجري، الإسلام اليوم: عدد

— Bassam Tibi : the challenge of fundamentalism, political Islam and the new world disorder, University of California press, 1998. P : 1 – 20, p : 60 – 114, p : 199 – 214.

حضارات، فإن اختلاف المنظورات حول دور الدين، القيم حقوق الإنسان... الخ. تعكس اختلافات حضارية وثقافية هامة ينبغي احترامها من قبل الحضارات المختلفة. فإذا قبلنا أن يقوم حوار ثقافات أو حضارات فكيف ستكون نتائجه بين طرفين غير متوازنين في القوة؟ وإذا قبلنا بعالمية حقوق الإنسان التي تقترض عندئذ التدخل لحماية انتهاكاتها، فما الإطار المرجعي الذي يتم وفقا له تحديد مفاهيم هذه الحقوق؟ مما لا شك فيه. مثلا. أن قيمة الحرية ذات مضامين مختلفة باختلاف الأطر المرجعية والمنظورات.. وفي هذا الخصوص يؤكد المفكر محمد عابد الجابري أن حوار الحضارات يمكن أن يكون شعارا غير بريء، فحوار الحضارات ما هو إلا وسيلة لفرض أجندة الغرب على العالم العربي والإسلامي هدفها النهائي هو سيطرة وهيمنة القطب الأوحده (أمريكا) على العالم... وأن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد صراع مصالح يأخذ في كل مرحلة تاريخية صفة محددة، إما اقتصاديا أو عسكريا، أو ثقافيا... وأن هذا الصراع أو الحوار لا ينجح فيه إلا الطرف الأقوى وأن الطرف الأضعف هو الخاسر على الدوام³⁴.

وإننا نطرح التساؤل التالي: أليس العالم اليوم بحاجة في إطار احترام الحضارات وخصوصياتها إلى ميثاق عالمي لحقوق الجماعات بدل الميثاق العالمي لحقوق الإنسان؟ فلا ينبغي أن يستخدم الحوار كمدخل لإذابة الفوارق والخصوصيات الذاتية لأي من أطرافه ولا لعولمة ثقافة ما أو تعديل الأنساق القيمية للآخرين بما يتفق ومعايير أنساق هذه الثقافة. لأن الهدف من الحوار ليس إدماج الثقافات ولكن تعويد الشعوب والمؤسسات على احترام الاختلاف وكيفية التعايش رغم الاختلاف.

2- نبذ صراع الحضارات:

³⁴حسن حنفي، تقييم تجارب حوار الحضارات في كتاب نادية محمود مصطفى، علاء الدين أبو زيد: خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، دار السلام، القاهرة، ط2، 2007، ص: 75.

يرى هنتنغتون في سنة 1993، أن الحضارات التي سترسم ملامح العالم هي: الغربية والكونفوشية، واليابانية والإسلامية، والهندوسية، والسلافية - الأرثوذكسية والأمريكية اللاتينية وربما الإفريقية، وحسب رأيه أن صدام الحضارات كان تطوراً تاريخياً، لأن التاريخ هو الأشكال المختلفة للصراع.

كما أن الصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة سوف يتحول من صراع أيديولوجي واقتصادي إلى صراع ثقافي، كما تبقى الدول أطرافاً فاعلة، ولكن سيتزايد احتمال قيام صراع بين المجموعات الحضارية، ويؤكد هنتنغتون أن الخلافات بين الحضارات أعمق بكثير من تلك القائمة ما بين حوافز التنافس ضمن نطاق الحضارات، كما يرى بأن العولمة تزيد من احتمال الصدام الحضاري، فالعالم أصبح عبارة عن قرية صغيرة، مما يرفع هذا درجة الوعي بالخلافات والتهديدات الثقافية.

وفي جزء كبير من الخطاب الجاري حول صدام الحضارات، كان الإسلام هو ما تركز الاهتمام عليه أكثر فأكثر، وكانت تجربة الرئيس ريغان خلال الثمانينات القرن العشرين، فيما يتعلق إيران وليبيا وسوريا ولبنان قد أثارت المخاوف من قيام تكتل عربي - إسلامي يبدي معارضة شرسة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وللقيم التي تتبناها³⁵.

في الواقع انقسم اتجاه النقاش حول أطروحات هنتنغتون بين ثلاثة: أكد مقولات هنتنغتون، ورفض إمكانية الحوار انطلاقاً من حقائق اختلال توازنات القوى الدولية، وسياسات القوى الغربية تجاه العالم الإسلامي، أي الصراع الحضاري من جانب الغرب تجاه الإسلام والمسلمين. والثاني رفض مقولات هنتنغتون: إما رفضاً أن تكون العلاقة بين الحضارات وليس توازن القوى والمصالح هي المفسر الأساس في العلاقات الدولية، من منطلق رؤية واقعية للعلاقات الدولية ترفض تسييس الحضارات، وإما رفضاً لإلصاق التهمة بالإسلام والحضارة الإسلامية باعتبارها مصادر الصراع والتصادم، وهذا دفاعاً عن الإسلام والمسلمين الذين يقبلون الآخر ولا يرفضونه.

³⁵ جون بيليس وستيف سميث، "عولمة السياسة العالمية"، مركز الخليج للأبحاث 2004، الإمارات العربية المتحدة، ص: 789 - 790.

والثالث يرى أن الحوار أو الصراع هي حالات للعلاقات بين الحضارات ومن جهة أخرى رأى قسم من هذا الاتجاه أن الوضع الدولي الراهن لا يسمح بحوار الحضارات أو الثقافات بسبب اختلال ميزان القوى الدولي³⁶. إذا كان البعض قد رفض أطروحات صراع الحضارات لأنها تقوم على منظور حضاري وليس مادي يفسح مكانا للدين وهو الأمر غير المعتاد من الفكر والتنظير الغربي في ظل "علمنة دراسة العلاقات الدولية" إلا أن أخذ "هنتجتون" للعامل الحضاري كمحرك للحضارات يعتبر تغييرا جوهريا في المنطلقات النظرية وهو الأمر الذي يقتضي التوقف عنده والتساؤل عن مبررات هذا المنحنى: هل يتصل بما أضحى يدب في الحضارة الغربية من ضعف وتآكل في القوة بالمقارنة بحضارات أخرى أخذت تستهض قواها من جديد؟ وفي هذا الصدد نلاحظ أن "هنتجتون" في ختام تحليله لمبررات اهتمامه بالحضارات كمحرك للتفاعلات الدولية، يربط بين أثر زوال الأساس الأيديولوجي للصراع العالمي وبين جهود الغرب الرامية لدعم قيمة كقيم عالمية والحفاظ على هيمنته العسكرية ودعم مصالحه الاقتصادية ومن تولد ردود فعل مضادة من قبل الحضارات الأخرى من ناحية أخرى.

لذا تشكل هذه النظرية عائقا في سبيل الحوار تمتد جذورها لآراء المستشرق الفرنسي أرنست رينان الذي ينظر لرمز الحضارة العربية نظرة ازدراء واحتقار حيث يقول: "الإسلام هو الرفض الأكثر اكتمالا لأوروبا... فالإسلام هو التعصب الذي لامسته قليلا إسبانيا في ظل فيليب الثاني وإيطاليا في ظل البابا بيوس الخامس... الإسلام هو احتقار العلم، وإلغاء المجتمع المدني إنه البساطة المرعبة للفكر السامي التي تقلص العقل البشري وتغلقه أمام أية فكرة حساسة، على أي إحساس مرهف وأي بحث عقلائي³⁷.

وقد سار على نحوه ليون جوتيه الذي ادعى أن العقل السامي لا يقدر على إدراك الجزئيات وأنه عقل مباحدة وتقريب في حين أن العقل الآري هو الوحيد القادر على أن يؤلف بين الأشياء

³⁶ حسين خليل، "قضايا دولية معاصرة"، دار المنهل اللبناني، ط 1، 2008، بيروت، 2008، ص: 251.

³⁷ Ernest Renan : Correspondance, tome I, Goldman Lévy, Paris, 1926, p : 119.

وهو عقل جمع ومزج، وكلاهما يحتقر الأجناس البشرية المختلفة عن الجنس الآري، وهم بهذا قد وضعوا القاعدة لظهور النظرية المركزية الغربية وفحواها وجود أعراق مختلفة، بعض الأعراق أدنى من بعضها الأخرى³⁸.

وفي إطار استعلاء الحضارة الغربية درس ماكس فيبر الحضارات اليهودية، والصينية والهندية والإسلامية واليابانية، وقد أوصلته دراسته الواسعة إلى نتيجة واحدة: وهي أنه لا واحدة من هذه الحضارات قد تضمنت قيما يمكن أن تكون خلاقة للعقلانية... لقد عرفت هذه الحضارات علوما وسياسات، لكن الغرب يبقى عنده هو مبدع العلم بمعناه الدقيق³⁹.

إذا، يتم الترويج للحضارة الغربية وكأنها آخر ما وصلت إليه البشرية من تقدم وأن قيمها هي قيم لكل البشر... وأن مراحل تاريخها هي مراحل تاريخ كل الشعوب القديم والوسيط والحديث، وأن لغاتها هي اللغات الدولية، كل ذلك في الحقيقة تعبير عن لحظة واحدة في التاريخ هو الغرب الحديث وكأن تاريخ البشرية الذي يمتد عشرات الألوف من السنين ما هو إلا مقدمة لتاريخ الغرب الحديث وبعدها يتوقف التاريخ. فالحضارة الغربية هي حضارة مركزية وما عداها لا شيء، الأمر الذي أدى إلى خلق عقدة العظمة لدى الغرب فهو "حضارة العقل والعلم والحرية والعدالة والتقدم وال عمران، والتاريخ تاريخه والعلم علمه والقيم قيمه، والثورة ثورته والحاضر حاضره، والمستقبل مستقبه واللغات لغته، والثقافة ثقافته، وخلق عقدة نقص لدى الشعوب غير الأوروبية أنها ناقلة ومقلدة وتابعة... الغرب يبدع وهي تستهلك، الغرب يفكر وهي تنقل⁴⁰.

وهو ما خلق نظريات استعلائية، فصمويل هنتنغتون ينظر للاختلاف الثقافي بمنظار سلبي فهو يعتبره عاملا أساسيا في التصادم بين الشعوب، ويعتقد هنتنغتون أن العلاقة بين الحضارات هي علاقة صدام وأن سبب استمرار القوة الأمريكية، وجود عدو خارجي لذلك يعتقد أنه بعد

³⁸ علي أو مليل، سؤال الثقافة، الثقافة العربية في عالم متحول، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005، الدار البيضاء، ص: 127.

³⁹ مرجع سابق، ص: 27.

⁴⁰ حسن حنفي، حصار الزمن، ج1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط1، 2007، ص: 438.

سقوط الاتحاد السوفياتي فإن الخطر الأول الذي سيدهم الغرب هو الإسلام. ولهذا هو يحذر من الثقافات الأخرى ويدعو لقطع الصلة معها والمحافظة على الثقافة الأمريكية حيث يقول: "على أمريكا أن تستمر في قيادة الغرب ولا يمكنها ذلك إلا بالتماسك الداخلي، ومنع أية قوة أو تحالف قوي من تهديد قيادتها للعالم. والتماسك الداخلي يكمن في أن تستمر أمريكا متمسكة بقيمتها الثقافية الغربية الخالصة التي تأسست عليها⁴¹. "والعلاقة بين الثقافات علاقة تصادم وتطاحن وعلى أمريكا أن تعادي الحضارات المختلفة حتى تحافظ على تميزها في نظر هنتغتون، وهو استعلاء ما بعده استعلاء للحضارة الغربية. وذلك ما يتنافى تماما مع ما تدعو إليه الأمم المتحدة حيث أكد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في افتتاح المنتدى العالمي التاسع لتحالف الحضارات المنعقد في مدينة فاس المغربية. في نوفمبر 2022 أن "النزاعات الدولية لا يمكن أن تكون النتيجة الوحيدة للدين أو الثقافة أو الحضارات. يجب أن نقول بصراحة: ليس هناك صراع حضارات. هناك صراع مصالح وصراع جهل"⁴².

خاتمة وتوصيات

ليس الغرض من الدبلوماسية الحضارية نفي مختلف الدبلوماسيات، وليس الغرض منها تحكم حضارة واحدة في باقي الحضارات في العالم مثل الحضارة الغربية في واقع الحال، وإنما التركيز على أهمية المشترك بين مختلف الأمم؛ والحث على قيم الحوار والتسامح والتواصل بين مختلف الديانات والثقافات عبر العالم. خاصة وأن الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية كلاهما ينتظم تقاليد ثقافية عريقة وعظيمة تختلف تماما عن الغرب، لذلك ينبغي على الحضارة الغربية اليوم أن تحترم باقي الحضارات الأخرى وتتوقف عن تسويق مقولة مفادها أن المجتمعات التي تريد أن تبلغ درجة التقدم، التي وصل لها الغرب، ليس أمامها إلا الأخذ

⁴¹ Samuel P. Huntington : The clack of civilization, p : 265.

⁴² موقع أخبار الأمم المتحدة تاريخ الزيارة 2023/09/29 <https://news.un.org/ar/story/2022/11/1115882>

بالأسباب ذاتها التي أخذ بها الغربيون؛ وليس أمام تلك المجتمعات إلا التخلص من خصوصياتها الثقافية. لذلك نقترح التوصيات التالية:

— إعادة النظر في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان بالانتقال إلى الميثاق العالمي لحقوق الجماعات على اعتبار كل جماعة أو مجتمع يختلف في حضارته وثقافته عن مجتمع آخر وبالتالي يصعب الحديث عن مفهوم واحد مشترك مثلا: الحرية، الجنس، العدالة، المساواة، الإرهاب، المواطنة، الديمقراطية...

— ضرورة إقامة حوار حضاري مبني على احترام الخصوصيات لكل حضارة أما الحوار الغير متكافئ هو هيمنة حضارة واحدة على بقية الحضارات الأخرى بوسائل وآليات العولمة التي لم تترك مجال إلا وغزته وأثرت فيه؛

— لن تتحقق الدبلوماسية الحضارية مادام الغرب لم يغير من نظريته العدوانية للإسلام والمسلمين؛

— إن الغرب لا يعي أية أهمية للدبلوماسية الحضارية لأنه يعي جيدا بأن الدول العربية والإسلامية ضعيفة اقتصاديا وبالتالي يمكن الهيمنة على هذه الدول عن طريق العولمة بمختلف أشكالها، وبالتالي هذه الدول قابلة للذوبان ضمن النموذج الحضاري الغربي لأنها في حاجة ماسة للأموال موال للنهوض باقتصاداتها؛

— تأسيس أو إحداث وحدة لحوار الحضارات في وزارة الخارجية بكل دولة في العالم ثم على مستوى الإقليم والأمة.

المصادر والمراجع

المصادر

— القرآن الكريم

المراجع بالعربية

— بن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط1، 2003م)، ج 4، حرف الحاء؛

- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1978م)، ج 1؛
- لكروي إبراهيم سلمان، "المرجع في الحضارة العربية الإسلامية"، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب. 1999؛
- إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون، "دراسات في الفكر العربي الإسلامي". ط3، عمان، 1991؛
- أبو زيد شلبي، "تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي"، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط)، 2012؛
- حسين مؤنس، "الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها"، عالم المعرفة، الكويت، دار عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد الأول، 1978م؛
- أنور الجندي، "الحضارة في مفهوم الإسلام"، القاهرة، دار الأنصار، ط4، د.ط، د.ت؛
- اشبنغلر، "تدهور الحضارة الغربية"، ترجمة: أحمد الشيباني، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ط 1، 1964؛
- حسين خليل، "قضايا دولية معاصرة"، دار المنهل اللبناني، ط1، 2008، بيروت، 2008؛
- صامويل هنتجتون، "صدام الحضارات إعادة النظام العالمي 1996م"، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: صلاح قنصوة، أمريكا، ط2، 1999؛
- غازي حسن صباريني، "الدبلوماسية المعاصرة"، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع عمان ط 1 2002؛
- السفير عبد الفتاح شبانة، "الدبلوماسية"، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط 1، 2002؛

- د. علي عبد القوي الغفاري، "الدبلوماسية القديمة والمعاصرة"، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق ط1، 2002؛
- د. علي الشامي الدبلوماسية، "دار العلم للملايين"، بيروت لبنان، ط 1، 1990؛
- عبد الهادي التازي، "التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم"، المغرب، القنيطرة، أكاديمية المملكة المغربية، ج 1؛
- محمد حبش، "الدبلوماسية: قراءة في القيم الدبلوماسية في... قطر: المعهد الدبلوماسي، 1434هـ / 2013م؛
- الويشي – عطية فتحي، حوار الحضارات – إشكالية التصادم، وآفاق الحوار، حقائق ومفاهيم لا ينبغي أن تغيب، ط: 1، 1422 – 2001، مكتبة المنار الإسلامية، حولي – الكويت؛
- سليمان دريع علي، "حقيقة التسامح في الإسلام"، الكويت، مكتبة ابن كثير، 2009؛
- حسن الوراكلي، "ياقوتة الأندلس"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994؛
- رينو، "تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا والجزائر"، البحر المتوسط، ترجمة: شكيب أرسلان، بيروت، دار مكتبة الحياة، ب. – ت؛
- أرمان ماتلار، "التنوع الثقافي والعولمة"، تعريب: خليل أحمد خليل، الإمارات، مؤسسة محمد بن راشد ودار الفارابي، ط1، 2008؛
- بو عبيد صالح الازدهار، "السنن الاجتماعية ومنطق التدافع الحضاري"، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2013؛
- عبد العظيم إبراهيم المطعني، "مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهاج وسيرة، القاهرة: دار الفتح للإعلام العربي، د. ط 1996؛
- نورة العويد، "التواصل الحضاري من منظور إسلامي"، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1443هـ؛

- أحمد سيفغان، "قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية"، بيروت، مكتبة لبنان، ط 1، 2004؛
- معن محمود عثمان ضمرة، "الحوار في القرآن الكريم"، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، د.ط، 2005؛
- روجيه جارودي، في سبيل حوار الحضارات، تعريب: عادل العوا، لبنان عويدات للنشر والطباعة، ط 4، 1999م؛
- محمد سعدي، "دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم"، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط 1، 2012؛
- مقدمة الكتاب الجماعي "العقلانية العربية والمشروع الحضاري" الرباط: منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط 1، 1992؛
- زكي ميلاد، "مقدمة كتاب تعارف الحضارات"، دمشق، دار الفكر، ط 1، 2006؛
- حسن حنفي، "حصار الزمن"، ج1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط 1، 2007؛
- حسن حنفي، "تقييم تجارب حوار الحضارات في كتاب نادية محمود مصطفى"، علاء الدين أبو زيد: خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، دار السلام، القاهرة، ط 2، 2007؛
- حسين خليل، "قضايا دولية معاصرة"، دار المنهل اللبناني، ط 1، 2008، بيروت. 2008؛
- علي أومليل، "سؤال الثقافة، الثقافة العربية في عالم متحول"، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2005، الدار البيضاء؛
- مالك بن نبي، "مشكلة الثقافة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، ط 4، 2000.

الأطروحات والرسائل الجامعية:

- السندي فهد بن عبد العزيز، "حوار الحضارات دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة"، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، السعودية، جامعة الملك سعود، 1430هـ.
- سكر ماجد رجب العبد، "التواصل الاجتماعي أنواعه - ضوابطه - آثاره - ومعوقاته"، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية، غزة: الجامعة الإسلامية، 2011م.

المجلات:

- محمد خاتمي، حوار الحضارات والثقافات، نص الخطاب أمام اليونسكو في أكتوبر 1999، شؤون الأوسط عدد 89 نوفمبر 1999؛
- فوده، "النظم الدبلوماسية"، ص: 80، والسيد أمين شلبي، بين الدبلوماسية القديمة والحديثة، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، العدد 140، أبريل، 2000؛
- عبد الباسط عبد الرحيم عباس، "مبدأ التسامح في إطار المواثيق الدولية والتشريعات العراقية النافذة"، مجلة العلوم القانونية والسياسية، كلية القانون والعلوم السياسية - جامعة ديالى، عدد خاص 2012؛
- جباري، سامية. "التسامح الديني مع أهل الذمة بالأندلس - التسامح مع اليهود"، مجلة رسالة المسجد، الجزائر، س6، ع2، فبراير 2008م؛
- علي جابر العبد الشارود، "الحوار مفهوماً وتأصيلاً وواقعاً"، الحولية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإسكندرية، المجلد الثاني، العدد الخامس والثلاثين؛
- الريامي: طاهر أحمد محمد، "حوار الحضارات"، مجلة الأندلس، ماليزيا، مج 15، العدد 13، 2016.

الأبحاث:

- نادية محمود مصطفى، جدالات حوار/ صراع الحضارات: إشكالية العلاقة بين السياسي - الثقافي في خطابات عربية وإسلامية، مركز الحضارة للدراسات السياسية، مصر.

-
- سليمان، أحمد علي، تقرير عن ندوة التواصل الحضاري: أهدافه، وآلياته، ومعوقاته، مجلة الجامعة الإسلامية، رابطة الجامعات الإسلامية، 2008، ع. 42.
- جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، مركز الخليج للأبحاث 2004، الإمارات العربية المتحدة.
- المواقع الإلكترونية:
موقع أخبار الأمم المتحدة <https://news.un.org/ar/story/2022/11/1115882>
المراجع باللغة الأجنبية:
- Ernest Renan : Correspondance, tome I, Goldman Lévy, Paris, 1926 ;
- Bassam Tibi : the challenge of fundamentalism, political Islam and the new world disorder, University of California press, 1998.
- Charles R. Beitz, Recent international Thought – International Journal, Spring, 1988.
- Keen Booth, Security in anarchy: Utopian realism in theory and practice, international affairs 67, 1991;
- Larousse. (2007). Le petit Larousse. Paris : larousse ;
- Encyclopédie des sciences sociales, Vol 4 – 5, 1947 ;
- Cox. R.W. Perspectives on Multilateralism Unpublished paper, programme on multilateralism and the United Nations, system (MUNS). The United Nations University, April 1991.